في العلاقة بين المجموعات في خضم الصراع والتربية المواطنيّة الجامعة:نظرية الاتصال ودور التكنولوجيا

د. ميلاد م. سعد

الجامعة اللبنانية، كلية التربية

Sur la relation entre les groupes au sein des conflits : théorie de la communication et rôle de la technologie

Ali Khalifé

Faculté de pédagogie – Université Libanaise

Cette contribution tente d'explorer les voies possibles d'utilisation de l'information et de la technologie de la communication dans les écoles, afin de contribuer à l'éducation à la citoyenneté des jeunes et assurer l'adhésion de multiples religions et cultures qui vivent encore dans le conflit au sein de l'entité libanaise. Le chercheur s'appuie sur la théorie de la communication (Allport, 1954) propice à la communication positive entre les différents groupes d'étudiants, pour l'adapter dans un environnement scolaire qui soutient la coopération, synchrone et asynchrone, et facilite le dialogue positif et la coexistence pacifique entre les groupes.

ملخّص

يحاول الباحث استكشاف السبل الممكنة لاستخدام قدرات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المدارس، من أجل تزخيم التربية المواطنيّة الجامعة لدى النشء في الكيان اللبناني؛ وهو كيان ذو مجموعات سكانية متعددة الأديان والثقافات والإثنيات، ما تزال تعيش في خضم الصراع. فيسرد بإيجاز واقع المدارس، وفشلها في تدعيم اللحمة بين طلاب المجموعات المختلفة،على الرغم من التوجهات التربوية الداعية لتفعيل العيش المشترك. ثم يراجِع الأدبيات الداعمة لفتح قنوات اتصال وتعاون بين طلاب المدارس المختلفة، بهدف تحسين العلاقات وتعزيز الحوار، واستبعاد القوالب النمطية والتحيُّزات بين المجموعات الطلابية، وذلك كجزء من رؤيا واستراتيجية تربويتين، تضمنان تحقيق العيش المشترك وقبول الآخر المختلف داخل مجتمعاتٍ في خضم الصراع، وما بعد الصراع. ولتحقيق التعاون، يشرح الباحث نظرية الاتصال والمعاييرَ المتصلة بها Intergroup Contact Theory (Allport، 1954)، والآيلةَ الى التواصل الإيجابيّبين المجموعات الطلابية المختلفة. ثم يستعرض قدرات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في بيئة مدرسية تدعم التعاون الأكاديميّ، المتزامنَ وغير المتزامن، والمسهلَ للحوار الإيجابيّ المعزِّزِ للعيش المشترك في الوطن الواحد.

حضرة السيدات والسادة الكرام

لبنانُ وطنُ الرسالة ...وللتربويين دورُهم المميّز، ولكن؟

في احتفال اقيم منذ أقلَّ من أسبوعين، في 28 أيار 2015، أكّد **المطران ميشال عون** راعي أبرشية جُبيل المارونية أن:

لبنانَ وطنُ التعايش والمغفرة ورسالةُ عيشٍ مشترك تحتذى في هذا الشرق الملتهب، ... وقال: إن لبنانَ أكثرُ من وطن، إنه رسالةٌ لكل العالم من خلال طريقة حياة المسيحيين مع بعضهم ومع المسلمين، لبناء وطن التضامن والمحبة والأخوة، فنعلنُ للعالم أنه يمكننا العيش معا في شرق تدمره الحروب والخلافات، ... "

إن تحقيقَ هذه الصورةِ عن لبنانَ، وكما يتمناها أغلبُ اللبنانيين على ما نظن يتطلب تربيةَ النشء على المواطنة. لكن واقعَ الحال وكما يشير الدكتور **محمد فاعور عام 2013** وهو باحث رئيسي سابق في مركز كارنيغي للشرق الأوسط بقوله:

تبيّن الدراسات التي أجريت مؤخراً بتكليف من مركز كارنيغي للشرق الأوسط أنه في حين ادعتِ الدولُ العربية تأييدَها لأهداف إصلاح التعليم والتربية من أجل المواطنة، فإنها لم تقم بخطُوات تذكر لتحويل هذه الأهداف إلى واقع ملموس وإعدادِ الشباب لنظام سياسي واقتصادي يتغيّر بسرعة. ... ومن ضمنها لبنان.

... والتربية المواطنيّة الجامعة: خطوة ملحّة

تنص المادة 10 من الدستور اللبناني أن "التعليمَ حرٌّ ما لم يخلَّ بالنظام العام أو ينافِ الآدابَ أو يتعرضْ لكرامة إحدى الدياناتِ أو أحد المذاهب ولا يمكن أن تمسَّ حقوقُ الطوائف من جهة إنشاء مدارسِها الخاصة، على أن تسيرَ في ذلك وفاقاً للأنظمة العامة التي تصدرها الدولة في شأن المعارف العمومية.

بالرغم من تشويش عدةِ عناصرَ على التربية المواطنيّة الجامعة، فإن ما يطفو على سطح الأحداث اليومية في لبنان من تشققات بين مختلِفِ مكونات الشعب اللبناني قد يؤشر الى فشل المدارس، رسميةً كانت أم خاصة، في السابق وربما في الحاضر في تدعيم اللُّحمة بين طلاب المجموعات المختلفة،على الرغم من التوجهات التربوية الداعية لتفعيل العيش المشترك وتعزيز الُهوّيّة الوطنية.وفي هذا الموضوع...

... وللتربويين دورهم المميّز

تشمل أحدثُ الخططِ الاستراتيجية التربوية في لبنان "التربيةَ الوطنيةَ"، والتي تهدف إلى تعزيز الهوية الوطنية والمسؤولية المدنية للطالب،كما تدعو الى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال لتعزيز العيش المشترك (وزارة التربية والتعليم العالي، 2010 و2012) لهذا:

- على التربويين البحثُ عن حلول لها أثرُها على الأمد الطويل تضمن العيشَ المشترك في بلد متعدد الأديان والثقافات والإثنيات، ما تزال تعيش في خضم الصراع، كما هو واقع الحال في لبنان.
- على التربويين تكثيفُ وتدعيمُ قنوات الاتصال والتعاون بين طلاب المدارس المختلفة، بهدف تحسين العلاقات بينهم وتعزيزِ الحوار الإيجابي، واستبعادِ القوالب النمطية والتحيُّزات، وذلك كجزء من رؤيا واستراتيجية تربويتين، تضمنان تحقيق العيش المشترك وقَبول الآخر المختلف داخل مجتمعاتٍ في خضم الصراع، وما بعد الصراع.

... وللتكنولوجيا إمكانيات هائلة لتسهيل هذا التواصل التربوي في العصر الرقمي، إذ تؤمنُ شبكاتُ ومنصاتُ وأدواتُ التواصلِ الاجتماعي الرقميةُ القائمةُ على شبكة الإنترنت، والشائعةُ بين طلاب الطوائف والثقافات والإثنيات المختلفة في لبنان، عنصرًا مسهلًا للاندماج والتواصل التفاعلي التربوي، المتزامنِ وغيرِ المتزامن، بهدف بناء علاقات إنسانية وطيدة لها انعكاساتٌ إيجابيةٌ على حل النزاع للمدى البعيد.

ولكن ما هي أفضلُ المقاربات لتحسين العلاقات وبناء الثقة من خلال التواصل التربوي في مجموعات ما تزال تعيش في خضم الصراع؟ ما هي الأسسُ النظريةُ الناظمةُ والمقارباتُ الفاعلةُ من أجل تفعيل التواصل في بيئات تربوية كهذه؟

نظرية الاتصالIntergroup Contact Theory

في هذا المجال، يؤكد العديدُ من الباحثين أن نظريةَ الاتصال بين المجموعات لـ Gordon Allport (1954) يمكن اعتبارُها واحدةً من أفضل المقاربات لتحسين العلاقات وبناء الثقة من خلال التفاعل الإيجابي بين المجموعات التي تعاني من النزاعات، بهدف سد الفَجوة بين المجتمعات والفئات التي تكوّن المجتمع ككل. يعتبر Allport ان زيادةَ التفاعل والتواصل بين الأفراد المنتمينَ الى مجتمعات مختلفة تساعدُ في الحد من المواقف المتحيزة والتخفيف من حدة الانقسامات فيما بينهم، لكنَّ التفاعلَ الإيجابيَّ بين المجموعات له محدداتٌ بحسب Allport. يحدد Allport العناصرَ المساهمةَ في إنجاح عملية الاتصال بين المجموعات، والتي يشهد له معظمُ الباحثين بأهميتها وجدوى التنبه لها، وهي:

- دعمُ السلطات المعنية Support of Authorities: يفترض هذا العنصر دعمُ التفاعل بين المجموعات من قِبل جهة أو جهات ذاتِ سلطة يحترمها الجميعُ والتي تؤسس قواعدَ التواصل.
- الأهدافُ المشتركة Common Goals : حيث يدفع توافرُ هذا العنصر الأفرادَ المنتمينَ الى مجتمعات مختلفة إلى السعي لتحقيق هدف مشترك، مثلِ حلِّ مشكلة اقتصادية أو اجتماعية، والتعاونِ لتحقيق الهدف.
- مجموعاتٌ ذاتُ مكانة متساوية ومتقاربةEqual Status : حيث يتم التفاعلُ بين أشخاص متقاربين في المستوى لناحية الخلفيات الاجتماعية أو العلمية أو الثقافية، وعليه، تنحصر الاختلافاتُ في أنهم من فئات مجتمعية مختلفة. ومع أن معظمَ الباحثين يدعمون هذا الزعم، يبقى تعريف المكانة المتساوية صعبًا ومتفاوتًا.

- التعاونُ بين المجموعات Intergroup Cooperation : يُنظم التعاون بين المجموعات بحيث يكون تضافرُ جهودهم دون منافسة عاملاً أساسيًا وحتميًا لبلوغ الأهداف المشتركة.
- تفاعلُ الأفراد Personal Interaction: تتطلب وضعيةُ التواصلِ بين المجتمعات المختلفة تفاعلًا بين أفرادها على المستوى الشخصي بحيث تتعزز فرصُ معرفةِ الآخر المختلف وتكوينِ الصداقات.

بالبناء على نظرية الاتصال، ان تعزيزَ الحوار بين المجموعات الطلابية المختلفة وتعميقَ الثقة في ما بينها واستبعادَ القوالب النمطية والتحيزات يتطلب إبتداعَ أنشطة تربوية قائمةٍ على التعاون الأكاديمى ذي الأهداف المشتركة في بيئةِ تعلمٍ قائمةٍ على حل المشاكل Problem based Learning، وذلك على سبيل المثال لا الحصر. بحيث يتطلب الوصولُ الى الأهداف المشتركة المنشودة، وبطرق بعيدة عن التنافس، تضافرَ جهود أفراد المجموعات المختلفة بغية تحقيقها وبحيث يكون الجميع فائزًا من خلال تحقيق الهدف المشترك.

يؤكد الباحثون الذين عملوا على تطبيق نظرية Allportفي المجال التربوي، ان هذا النمطَ من التعاون يتطلب إشرافَ تربويين متخصصين، يمثلون الفرقاء المختلفين، حريصين على تحقيق أفضل النتائج من تفاعل المجموعات الطلابية ذواتِ المكانة المتساوية، فإن حصل جدالٌ على سبيل المثال، يمكن إدارةُ الجدل من قبل المشرفين بحيث يجادل كلٌّ من أفراد المجموعات المختلفة لتدعيم موقفه بالحقائق والمنطق بعد التجاوب وبانتباه إلى منطق الجانب الآخر، وبهذا يتم التركيزُ على مواجهة المنطق بالمنطق الآخر، والوعيُ بأن المواجهةَ ليست بين بعضهم بعضًا. وعليه، يتم التفاعل بهدف دمج الحلول المقترحة، من كلا الطرفين، والسعيِ لتكاملها

لاستنباط الحل المناسب، وبذلك تكون الغايةُ من هذا النمط هي إيجادُ حل للمشكلة مرضٍ ومقنع للجانبين بحيث يحصل كلا الطرفين على ما يريدان، أو على الأقل إيجادُ تسويات مقبولة لديهما. إن تفعيلَ هذا النوع من التواصل الأكاديمي يتطلب استعدادَ المدارس للتعاون مع مدارسَ من طائفة أخرى وتهيئةَ المعلمين وتدريبَهم للتعامل مع هذه الوضعيات التربوية الفائقة الدقة بطرق شفافة وخلّاقة ومبدعة، تحقق في نهاية المطاف الغايةَ التربويةَ الراميةَ الى تعزيز العيش المشترك بين طلاب مختلف المكونات المتعددةِ الأديان والثقافات والإثنيات من خلال تشجيع الحوار على الصعيدين الفردي والجماعي وبناءِ علاقات إنسانية وطيدة بين الطلاب تساهم في تدعيم المواطنيّة الجامعة.

أطرح عليكم هنا، المكّوناتِ الأساسيةَ لنماذجِ التواصل الأكاديمي بين مدارس المجموعات المختلفة والتي ما تزال في خضم الصراع أو ما بعد الصراع.

- أولاً، على هذه النماذج الأخذُ بالمحددات الأساسية لنظرية الاتصالIntergroup Contact Theory.
- ثانيا، إعدادُ وتدريبُ أعضاء الهئية التربوية المشرفة للتعامل.
- ثالثًا، تسخيرُ قدرات شبكات ومنصات وأدوات التواصل الاجتماعي الرقميةِ القائمةِ على شبكة الإنترنت لتحقيق التواصل المتزامن synchronous وغير المتزامن Asynchronous.
- رابعًا، اعتمادُ مضامينَ وأنشطةٍ تربويةٍ ترتكز على حل المشاكل Problem Based Learning أو إقامةِ المشاريع Project Based Learning.
- خامسًا وأخيراً، وضعُ استراتيجياتِ تواصلٍ وتعاونٍ بين طلاب المجموعات المختلفة بطريقة تربوية واضحة ومدروسة، تنطلق

من تقدير مدى فجوة الاختلاف، لتحددَ الفترةُ الزمنيةُ للتعاون المشترك الذي قد يمتد من فصل الى عام دراسي كامل. خلال تلك الفترة، على الهيئة المشرفة تقديرُ طبيعةِ التواصل الرقمي ومدتِه؛ تلك الطبيعةُ التي تتنوع وتتدرج بين التواصل النصي أو النصوص والصور أو النصوص والصور ومقاطع الفيديو بوساطة الـ email أوالـWhatsApp أوالـ Twitterأو ما يماثلها وبشكل غير متزامن. بعدها يمكن للتواصل الرقمي أن يتطورَ لمرحلة التواصل المتزامن بالصوت والصورة بوساطة الـ Skype أوالـ Video Conferencing أو ما يماثلهما ليتوّجَ التعاونُ بالتواصل وجهًا لوجه.

خلاصة

إن المساعيَ التربويةَ الراميةَ إلى الحفاظ على لبنانَ، وطنًا للتعايش والمغفرة ورسالةَ عيش مشترك تحتذى في هذا الشرق الملتهب، يجبُ أن تنصبَّ على تفعيل التواصل البنّاء بين طلاب الأديان والثقافات والإثنيات المختلفة عَبر فتح قنوات اتصالٍ وتعاونٍ أكاديمي بين المدارس المتنوعة، والتي ما تزال تعيش في خضم الصراع. وذلك من خلال اتباع نماذجَ ومقارباتٍ نظرية فاعلة تستخدمُ قُدُراتِ تكنولوجيا الاتصال إلى الحد الأقصى، يشرفُ عليها تربويون متخصصون من مختلِف الفئات. كلُّ هذا بهدف تحسين العلاقات وتعزيزِ الحوار، واستبعادِ القوالب النمطية والتحيُّزات بين المجموعات الطلابية، وتفعيلِ العيشِ المشترك في الوطن الرسالة: لبنان.

وشكرًا...

ميلاد سعد *Milad Saad*

حاصل على الدكتوراه في العلوم التربويّة من جامعة القديس يوسف، لبنان. أستاذ مساعد في الجامعة اللّبنانية، كلية التربية (العمادة)، يدرّس تكنولوجيا التربية. عضو في لجنة تكنولوجيا المعلومات والتواصل (الجامعة اللّبنانية، كلية التربية). استشاريّ لدى شركات ومؤسسات تُعنى بإنتاج المواد التعلّمية الرقمية وأنظمة إدارة البيئات التعليمية-التعلّمية، وإعداد المعلمين لمتطلبات العصر الرقمي. من منشوراته العلمية: سعد، ميلاد م. (2015). دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في بناء قاعدة معارف معلمي اللغة العربية قيد الإعداد: مقترح مقاربة الإطار النظري "بلغتكم". بحث مقدم بعنوان "العولمة و الخصوصيّات اللغويّة". جامعة تونس المنار، تونس (23-26 نيسان).

Saad, M.M., Barbar, A.M., & Abourjeily, S.A. (2012). Introduction of TPACK-XL: A Transformative View of ICT-TPCK for Building Pre-Service Teacher Knowledge Base. Turkish Journal of Teacher Education, 1(2), 41-60.

Milad Saad est titulaire d'un doctorat en sciences de l'éducation de l'Université Saint-Joseph, au Liban. Professeur associé à l'Université libanaise, Faculté de Pédagogie, spécialiste de l'étude des technologies de l'éducation. Membre dans le comité de technologie et consultant pour les entreprises et les institutions concernées par la production de matériel d'apprentissage numérique et les systèmes éducatifs des environnements d'apprentissage en gestion, et la préparation des enseignants aux exigences de l'ère numérique.